الحراك النسائي والنسوي في ثورة ديسمبر

إعداد: ثريا صلاح مرتضى

المقال الحائز على المركز الثالث في دورة أسس ومصادر وتوجهات النسوية

تاريخ النشر: 15 / 05 / 2022م

تُعتبر النسوية، التي ظهرت في الغرب في أواخر القرن التاسع ما هي الا رد فعل على النظام البطريركي الذي رسخ للثقافات السائدة التي حملت صورة سلبية عن المرأة، الشيء الذي انعكس في واقع اجتماعي محتقن بالتمييز ضد المرأة والتقليل من شأنها وإهدار حقوقها، واقع فاقم منه النظام الرأسمالي وقسوته الاقتصادية.

يهدف هذا المقال للتطرق للحراك النسائيّ/النسويّ السودانيّ المُطالب باسترداد الحقوق التي هُضمت في سياق تاريخي متسلسل من حراك المرأة السودانية في فترة ما قبل الاستقلال وحتى حراكها في ثورة ديسمبر ٢٠١٨م، وهذا يأتي في المحاور الآتية:

- مشاركة المرأة في ثورة ديسمبر
- الحراك النسائي في السياق السوداني
- تطلعات المرأة السودانية من الثورة ،وهل حققت ما كانت تطمح إليه؟!

مشاركة المرأة في ثورة ديسمبر

على الرغم من أن المرأة السودانية دخلت مجال العمل السياسي مبكراً وحققت نجاحاً كبيراً في العديد من المجالات، الا انه ونسبة لطول فترة الحكم الشمولي لحكومة الانقاذ والذي عمل على تمكين سياساته

tasees.org info@tasees.org @TaseesCenter

"الأراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن إدارة مركز تأسيس للدراسات والنشر"

الاستبدادية و رمي خصومه ومعارضيه في المعتقلات و«بيوت الأشباح» وغيرها من العوامل التي جعلت من الممارسة السياسية في تلك الحقبة عبئاً على صاحبها فكانت النتيجة هي هجر المواطن السوداني للسياسة «وتُرك الجمل بما حمل».

هذا الهجران كانت وطأته أشد على المرأة التي ستتحمل عبئاً اضافياً اخر ان شاركت سياسياً وهو الوصمة المجتمعية التي تُلصق بكل المعارضات لحكومة الانقاذ الا وهي «شيوعية وكافرة» عليه فقد كانت النساء في السنوات الاخيرة اكثر بُعداً عن المجال السياسي بشكل خاص والعمل العام بشكله الأوسع.

أتاح التغيير السياسي الذي أحدثته ثورة ديسمبر ٢٠١٨ واقعاً جديداً على الحركة النسائية في السودان، استلزم مراجعة مشاركتها السياسية ودورها المجتمعي وفقاً للشعارات التي حملتها الثورة «حرية،سلام وعدالة».

كما الرجال كانت للنساء أدوارهنّ في الثورة فقد شاركت المرأة ميدانياً في التظاهرات، مجتمعياً بالتوعية واقامة الندوات، وشاركن في اعداد الوجبات ونشر المنشورات الورقية والالكترونية لاسقاط الحكم الدكتاتوري.

الحراك النسائي في السياق السوداني

يمكننا تصنيف مشاركة المرأة في العمل العام (الحراك النسائي) ضمن الفئات التالية [١]:

١. حراك مجتمعي

وهو حراك يمكن وصفه بأنه من المجتمع والى المجتمع؛ كحراك الاتحاد النسائي السوداني والذي كان تأسيسه عام ١٩٥٢ برئاسة فاطمة طالب، حيث انه كان حراك المرأة السودانية للمطالبة بحقوق المرأة السودانية تميز بالاستقلالية فلم يكن يخدم اجندة خارجية بل تمكن من تكييفها مع ما يُلائم المجتمع السوداني ثقافةً وعرفاً؛ حيث انه لم يتخذ المصادمة منهجاً له بل كانت الموادعة الدينية والاعتزاز بالثقافة السودانية سبيلاً انتهجته معظم قيادات الاتحاد.

حراك المرأة السودانية في ثورة ديسمبر هو ايضا بدوره يمكن تصنيفه كحراك مجتمعي، حيث خرجت المرأة للمطالبة بحق المواطن السوداني بالعيشة الكريمة فكانت مطالبها سياسية ،اقتصادية كما انها طالبت ايضاً بالعديد من المطالب النسائية والتي سنخوض فيها لاحقاً.

٢. حراك مرتبط بالدولة

هذه الفئة من الحراك النسائي دوماً ما تأتي لاستعادة التوازن في المجال العام حيث أن تأسيسها مرتبط بالانقلابات العسكرية او المدنية ، فمثلاً اتحاد نساء السودان كان تأسيسه من قبل حكومة نميري ليُكوّن خطاً موازياً للاتحاد النسائي السوداني، كما كان ذات الهدف هو سبب تأسيس الاتحاد العام للمرأة السودانية في عهد الانقاذ.

الحراك السلطوي هو حراك مجتمعي ويصب في مصلحة المرأة السودانية الا انه يخدم اجندة الدولة وايدولوجيتها وهذا يفقده الاستقلالية التي تمتاز بها الفئة الأولى من هذا التصنيف.

٣. حراك المنظمات الدولية و منظمات المجتمع المدني

بالنظر لمختلف الحركات النسائية في الفئتين الأولى والثانية ، فإننا نجد التنظيم الشبكي واضح ومحكوم بدساتير معلنة إلّا ان الحراك في هذه الفئة قد غابت عنه هذه النقطة، فقد طُرحت النسوية في شكل مطالبة بالحقوق ورد مظالم أكثر من كونها ايدلوجيا

"الأراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن إدارة مركز تأسيس للدراسات والنشر"

متكاملة لها رؤية حول الفرد والمجتمع والدولة.

يمكننا وصف هذا النوع من الحراك بأنه أجنبي حيث انه يتصف بانفصامه عن سياق الواقع فيتبنى الحلول الأجنبية لمشاكل اجنبية ويسقطها على المجتمع السوداني دون تكييفها أو سودنتها وهذا ما جعله حراك في مُجمله مصادم للمجتمع والثقافة السائدة ،فمثلاً تبنى هذا الحراك اتفاقية سيداو والتي احتوت بنوداً لحل مشاكل عانت منها المرأة الغربية والتي وان لم يتم تكييفها وسودنتها فإنها لن تقوم بحل مشاكل المرأة السودانية بل ستتصادم معها ثقافياً ودينياً.

تطلعات المرأة السودانية من الثورة ،وهل حققت ما كانت تطمح إليه؟!

يُعد ارتفاع نسبة وعي النساء بمبدأ الحقوق والواجبات هو العامل الأساسي لخروج النساء للشوارع والمطالبة بإسقاط النظام(ويمكن ارجاع هذا لزيادة عدد الطالبات وارتفاع نسبة النساء المتعلمات في عهد الإنقاذ) إلّا ان قرب المرأة من الواقع الاقتصادي المتردي كان هو الوقود المحرك للحراك النسائي في ثورة ديسمبر، مطالب المرأة السودانية في بادئ الثورة لم تكن بمعزل عن مطالب الرجل وذلك حتى علت اصوات الأقلية من الناشطات في الحراك النسوي(حراك المنظمات) فتمت صياغة مطالب أجنبية باسم المرأة السودانية!!

كانت طبيعة الحراك النسائي في الفترة الانتقالية هو مزيج بين حراك المنظمات والحراك السلطوي حيث ان الوزراء كانوا ابناء تلك المنظمات وبالتالي فان الحراك النسائي كان يغلب عليه الطابع الأمميّ وكعادته في الانفصام عن الواقع قام بإجراء حلول اجنبية لمشاكل المرأة الغربية في قلب العاصمة السودانية، فكان اول إنجاز للمرأة السودانية في الفترة الانتقالية هو قيادة الدراجات تلاها الانجاز الاعظم وهو فريق كرة القدم للسيدات!!! عدم ترتيب الاوليات وتهميش قضايا البقاء والتعامل مع مطالب الاقلية في العاصمة وتجاهل مطالب واحتياجات المرأة في بقية بقاع الوطن كانت من الاسباب التي جعلت الاجابة على السؤال :»هل حققت ما كانت تطمح إليه؟!» هي النفي الجازم ب «لأ» . [٢]

نختم هذا المقال بما قاله فيلسوف الحضارة مالك بن نبي: «فالحقوق ليس هدية تعطى ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما متلازمان، والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي» [٣] ،فالإصلاح ما لم يكن اصلاحاً مجتمعياً (من المجتمع والى المجتمع) فلن يؤتي ثماره المرجوة و « إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ».[٤]

المصادر:

[١] علي أبو إدريس.مركز تأسيس للدراسات والنشر(٢٠٢١/١٢/٢٦).الحراك النسوي في السياق السوداني. تم الاسترجاع من:
https://youtu.be/9TjG0S_NIxo

[2] BBC, News (2021/4/11).

بعد تضحياتها في الثورة: هل حققت المرأة السودانية ما كانت تطمح إليه؟ تم الاطلاع عليه في (٢٠٢٢/٣/٦). رابط الموقع:
https://www.bbc.com/arabic/interactivity56710848-.amp

[٣] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، الطبعة الثانية، سورية دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠م.

[٤] القرآن الكريم. سورة الرعد. الآية (١١)